٨

الرجل الذى عرف أقل مما يجب

كان أرنون ميلتشان هو تشاك نوريس وكالة لاكام.

عمنون أبراموفيتش، صحيفة غلوبس الإسرائيلية، ٢٤ أبريل ٢٠٠٨

اقترح ريتشارد كيلى سميث متحمساً أن تسمى الشركة ميلكو، مما رسم ابتسامة عصبية على وجه ميلتشان.

افترض سميث أن الاسم سيعجبه، لكنه كان مقلقاً بالنسبة لميلتشان واعترض بلطف. وكان يفضل اسماً أكثر عمومية، لكنه لم يرد أن يبدو قليل الاحترام، ولم يُرِد أيضاً أن يظن سميث أنه ينأى بنفسه عن التسمية لأى سبب كان. وشرح سميث أن الاسم هو مختصر لتعبير شركة المنتجات العسكرية، ولا علاقة له باسم «ميلتشان»، فالتزم به. ولاحقاً، عندما سمع بلومبيرغ بالاسم، وبخ ميلتشان، لكن الأوان كان قد فات.

وبالرغم من حماسته، ظل سميث يماطل لأسابيع قبل أن يُرد على عرض ميلتشان المغرى. فبعد كل شىء، فقد وصل لمنصبه فى شركة روكويل بعد أعوام من الكفاح الشخصى، ونال درجة المدير العام فى أهم شركات معدات الفضاء الجوى فى أمريكا، واكتسب خبرة تجاوزت بكثير تدريبه الشخصى كمهندس، وتعامل مع عقود بمئات الملايين من الدولارات، ومبالغ لم يكن ليحلم قط بالحصول عليها

كموظف أو حتى كمدير عام. وعرف مَنْ هم الذين يجنون المبالغ الطائلة، وعرف أنه ليس واحداً منهم، ومن المحتمل ألا يكون أبداً.

وبدأ يعجب بميلتشان بشدة من نواحٍ عدة، وكان يغار منه ويجله في ذات الوقت. إذ كان ميلتشان مثالاً للحياة المرفهة، وكأنه يسبح فى بحور المال والشباب، وتحدوه قدرة لامتناهية فى الحصول على مراده أيما كان، كما كان مستقلاً وواثقاً من نفسه، وغير محدود بقيود الحياة، اجتماعية كانت أو اقتصادية. ومع كل يوم يمر، أصبح سميث أكثر انجذاباً للفرصة التى وضعها ميلتشان تدريجياً عند قدميه. فى قرارة عقله، كان يرى أن ميلتشان يعرف كيف يجنى المال، وأنه من النوعية التى يجب عليه ملازمتها والاحتذاء بها إن أراد أن يتحرر من أغلال الوظيفة ليحيا الحياة التى شعر أنه يستحقها.

وعندما وافق سميث على عرض ميلتشان لم يكن لديه فكرة عن طبيعة عمل شركة ميلكو، وعن طبيعة الاتفاق الذى سيبرم بينهما. وتردد، هو وزوجته إيميلى. لكنه فوجئ عندما فتح الموضوع مع رؤسائه فى روكويل، أنهم سروا به، إذ كان يمثل حلاً للضغط المستمر من السعوديين لقطع العلاقات مع إسرائيل.

وبدلاً من الطلب من روكويل مباشرة، كان بالإمكان تمرير التجارة مع إسرائيل عبر شركة ميلكو، ويمكن لشركة روكويل حينها أن تدعى أنها تتعامل قليلاً مع إسرائيل أو لا تتعامل مطلقاً معها، كما يمكن لميلتشان أن يمرر طلباته لروكويل عبر ريتشارد كيلى سميث، والذى بدوره سيبعث بالطلبيات إلى إسرائيل مباشرة، أو إذا لزم الأمر عبر شركة ثالثة يتحكم فيها ميلتشان.

ووفقاً لسميث، فقد عرضت عليه شركة روكويل منصباً بمجلس الإدارة للحفاظ على تصريحه الأمنى بالغ السرية، حتى يظل على اطلاع على أحدث التطورات السرية فى تكنولوجيا الفضاء الجوى. وقدم ميلتشان العديد من الوعود، وفقاً لسميث، وقال إنه سيمرر كل طلباته من روكويل ومن أية شركة أمريكية أخرى عبر ميلكو.

وأدرك سميث أيضاً أنه إن عمل مستقلاً عن روكويل، فسيتمكن من فعل أشياء أخرى. كان قد حصل بالفعل على العديد من العمولات من الناتو وناسا، والذين كانوا يتعاملون فى الأغلب فى أنظمة توجيه الصواريخ والتحكم فيها. وكان عضواً بالمجلس الاستشارى العلمى فى البنتاجون، وكان يحظى برتبة مدنية بروتوكولية بدرجة جنرال بثلاث نجوم. وكان يمكنه طلب طائرة نقل من القوات الجوية الأمريكية لتقله إلى أى مكان يريده. وكان مقتنعاً بأنه سيتمكن من إبرام بضعة عقود استشارية من تلك المؤسسات. وبطبيعة الحال كان ميلتشان يشجع خط التفكير ذلك.

كان ميلتشان يعرف أن استصدار الترخيص سيكون أكبر عقبة سيواجهها سميث وكان هذا من أهم الأسباب التى جعلته مهتماً بسميث فى المقام الأول، إذ إن قدرته المحققة على تحريك المياه الراكدة فى النظام الضخم للبيروقراطية الأمريكية قد ظهرت عن حق طوال مشروع آيبيكس. وعلى عكس الأمور فى إسرائيل، حيث كان ميلتشان يستطيع أن يتجنب العديد من الإجراءات البيروقراطية بمكالمة هاتفية واحدة لبلومبيرغ، كانت البيروقراطية فى الولايات المتحدة أكثر شراسة. كانت مكونات الصواريخ عالية الحساسية، والأنظمة الإلكترونية المعقدة، وأنظمة التوجيه تحتاج كلها، من الناحية النظرية، إلى تراخيص تصدير ذخائر، بالرغم من أن كل الجهود كانت تبذل لتفادى أى معوقات.

وكانت العديد من القطع تنال موافقات التصدير الاعتيادية من وزارة التجارة الأمريكية، وفى بعض الأحيان كانت لا تحتاج لذلك حتى. وكان ميلتشان يعرف أن معظم القطع مزدوجة الاستخدامات، والتى تُشترى وتشحن بشكل منفصل، لن تعتبر قطعاً ذات تطبيقات عسكرية. فى أغلب الحالات كانت الرخص الخاصة ضرورية إن كانت للقطعة غرض عسكرى حصرى.

وبمرور السنين شددت الولايات المتحدة الإحكام على سوق القطع مزدوجة الاستخدامات، لكن فى مطلع السبعينيات كانت تلك لا تزال فى ظلال المنطقة الضبابية، والتى تتخللها فجوات واسعة يمكن لشخص مثل ميلتشان أن يقود شاحنات ضخمة متخطياً إياها. ووفقاً لسميث فقد ناقش الاثنان البنية التنظيمية للشركة، حيث سيتملك سميث شركة ميلكو كلية، وسيكون مديرها ورئيس مجلس إدارتها، ولن يكون لميلتشان أية حصة فى الشركة. لكن بما أن ميلتشان سيجلب لميلكو كل طلباتها تقريباً، طالب بأن يتم تقسيم الأرباح بنسبة ٦٠٪ له و٤٠٪ لسميث. وبالرغم من الاتفاق لم يكن سميث يعرف أن نسبة الـ٦٠٪ من الأرباح التى

سيجنيها ميلتشان ستئول فى الواقع إلى حسابات إسرائيل السرية والتى كانت تحت سيطرة ميلتشان. وسريعاً أقنع سميث نفسه أن التوزيع غير العادل للأرباح كان مقبولاً لكن التكاليف كانت شأناً آخر، ووافق ميلتشان على أن يخصم سميث كل نفقاته من أرباح الشركة فى حدود المعقول.

وكان التمويل المبدئى للمشروع هو العقبة الأخيرة. وبما أن سميث لم يكن يملك هذا القدر من المال، وافق ميلتشان على تحمل تمويل الطلبية الأولى للمشروع. وشعر سميث بالرضا حيال ذلك. وكانت تلك فرصته للتحرر من أغلال المؤسسات الأمريكية، ومن تقارير سير العمل، وتقييم الأداء، والجداول الصارمة، وسجلات الدوام.

أصبح رجلاً مستقلاً، والأهم من ذلك، كانت تلك فرصته لجنى الأموال الطائلة.

وفى الواقع أملى ميلتشان بدهاء بنود تكوين شركة ميلكو وطريقة تشغيلها. وأقام شركة لا تحمل بصماته وجند عميلاً مرموقاً واسع المعرفة، يعتمد كلية على استعداد إسرائيل -عبر ميلتشان- لتسليم الطلبات. ومقابل اعتماده عليهم، وفى مقابل فرصة العمل لصالح ميلتشان والذى هو امتداد للاستخبارات الإسرائيلية، أعفى ريتشارد كيلى سميث من نفقات شركته وخَصّه بنسبة ٤٠٪ من الأرباح.

وكانت طريقة التشغيل المتفق عليها بسيطة ومباشرة: ترسل مديرة مكتب ميلتشان ديبورا بن إسحاق، والتى تعمل مباشرة مع بنامين بلومبيرغ، تلغرافاً مشفراً إلى سميث بقائمة الأغراض الحساسة التى ترغب أية شركة من شركات ميلتشان فى الحصول عليها. ويتوارى ميلتشان نفسه فى الظلال الخلفية ويتصل بها عندما يلزم الأمر فقط.

وفى أواخر ديسمبر ١٩٧٢، غادر سميث شركة نورث أمريكان روكويل. وكان

البعض فى روكويل يعرفون أن سميث قد افتتح بالفعل شركة ميلكو، والتى أدارها من منزله فى مدينة هاوس أوف أورانج فى جنوب لوس أنجلوس. وكان يدير المشروع فى ساعات غير ساعات العمل بالولايات المتحدة، مراعاة لفروق التوقيت فى إسرائيل.

وفى ١٩ يناير ١٩٧٣، افتتح سميث والذى كان قد بلغ أربعة وأربعين عاماً شركة ميلكو إنترناشونال، وسجل الشركة فى أورانج كاونتى، كاليفورنيا. وكانت ديبورا تبعث له بقوائم طويلة من القطع ليشتريها. فى المرحلة الأولى، كانت كل القطع التى يتم طلبها من أجل نظام جيريكو ٢ للصواريخ البلاستيكية النووية، وكمهندس متخصص فى أنظمة توجيه الصواريخ، كان سميث يستنتج بسرعة بالغة الغرض من كل قطعة، ومن أين يمكن الحصول عليها.

حاول لأقصى مدى ممكن، الالتزام بقوانين التصدير الأمريكية واستصدار تراخيص تصدير الذخائر عندما يلزم الأمر. وكانت العديد من القطع مزدوجة الاستخدامات لا تتطلب رخصة على الإطلاق. وكان المستخدم الأخير لمعظم الشحنات هو شركة رحوفوت إنسترومينتس ليميتد، وهى شركة ذات علاقة وثيقة بوزارة الدفاع، ومقرها كان قريباً من معهد وايزمان للعلوم فى مسقط رأس أرنون فى رحوفوت. وكان من يدير شركة رحوفوت إنسترومينتس ليميتد كيميائى عبقرى اسمه جوزيف يافى، والذى كان قد ترك معهد وايزمان ليؤسس الشركة.

وفى حالة طلب قطعة تعتبر حساسة للغاية لحد يجعلها لا يجوز ذكرها فى التلغراف، كانت ترسل بشفرة محددة مسبقاً، أو يسلمها مبعوث خاص إلى سميث. وكان سميث يتحصل على القطع، ويضع عليها العلامات وفقاً لتعليمات ديبورا، ويدفع مقدماً بالأموال التى ترسلها شركات ميلتشان. وبعدها كان سميث يشحن

تلك القطع إلى إسرائيل.

ووفقاً لجريدة واشنطن بوست، أحياناً، كانت القطع ترسل إلى شركة أخرى في هيوستون، تكساس، ثم يتم شحنها إلى إسرائيل. وأحياناً كانت تشحن عبر بلد ثالث أو بواسطة الحقائب الدبلوماسية الإسرائيلية. وكان سميث يرسل إلى شركات ميلتشان الكميات المتفق عليها وكانوا يحولون ثمنها إلى حساب ميلكو المصرفي في الولايات المتحدة. وكان نسبة الـ٦٠٪ الخاصة بميلتشان تحول إلى إحدى حساباته المصرفية السرية. وعمل النظام بسلاسة وفاعلية.

وعندما بدأت شركة ميلكو إنترناشونال ليمتد تعمل بكامل طاقتها في الولايات المتحدة، كان ميلتشان على دراية تامة بقائمة طويلة من برامج إسرائيل بالغة السرية، مثل مصنع القنبلة الذرية في ديمونة، مساعي صناعة القنبلة النيتروجينية، وبرنامج تصغير القنابل، ومؤسسة أبحاث المياه الثقيلة، وإنتاج صواريخ جيريكو ٢ البلاستيكية في بئر الطابية، وصوامع صواريخ زكريا، والأسطول النووي في تل نوف، وأبحاث الأسلحة الكيماوية والبيولوجية في المعهد الإسرائيلي للأبحاث البيولوجية في نس زيونا. واطلع ميلتشان بتوسع على العناصر الناقصة في تلك البرامج، والتي كانت تحتاجها إسرائيل بشدة لكي تمضي قدماً، وكانت تعتمد عليه لتحقيق ذلك.

وفقاً للمعلومات التي كشفت للعلن من قبل التقني النووي الإسرائيلي السابق موردخاي فانونو، أنه كان من أهم أولويات إسرائيل آنذاك تصنيع قنابل نووية تحتوي على ٤ كيلو جرام من البلوتونيوم، والتي تعادل من ١٢٠ إلى ١٦٠ كيلو طن من المسحوق الانفجاري، أو ما يعادل ١٠ أضعاف القنبلة التي ألقيت على هيروشيما وناجاساكي من قبل الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الثانية.

أن الترسانة النووية الإسرائيلية تطورت بشكل كبير منذ صناعة القنبلتين البدائيتين فى عشية حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧، كانت الترسانة الاستراتيجية لا تزال تُعتبر غير كافية، ولا توفى من نواح عدة المجال المعقد لاحتياجات إسرائيل من أسلحة الردع.

وفقاً لحسابات كل من بيريز وبلومبيرغ وديان كانت إسرائيل تحتاج إلى حوالى ٥٠ قنبلة لإنشاء سلاح ردع قوى طويل المدى بمساحة الإقليم، لكن حتى هذا لم يكن كافياً لأهدافهم الاستراتيجية الأبعد من ذلك.

كان الإسرائيليون فى حاجة لأن يعرف السوفييت أن موسكو نفسها ليست حصينة. وبلا شك، فقد كان السوفييت لديهم القدرة على تفجير إسرائيل ألف مرة الواحدة تلو الأخرى، لكن طالما فهموا أن تلك الخطوة قد تنطوى على ثمن لا يمكن تخيله، حينها ستكون إسرائيل قد حققت هدفها الاستراتيجى الأهم. ولم يكن هذا يعنى قنابل ضخمة فحسب بل والقدرة على إطلاقها لمسافات أكبر.

لكن تلك كانت البداية فحسب. وشعرت إسرائيل أنها بحاجة لأسلحة نووية أصغر للاستخدام فى ميادين المعارك، حجمها يعادل ٥٪ إلى ١٠٪ من قنبلة هيروشيما، ويمكن إطلاقها من مدافع مداها حوالى ٧٠ كليومتر، أو ما يعادل ٤٣ ميلاً. وكانت تحتاج لصواريخ نووية مصغرة فى حجم حقيبة اليد كأسلحة ردع لهؤلاء الذين يظنون أنهم خارج مداها. ونظراً للمسافة الصغيرة التى تفصل بين إسرائيل وأعدائها، فقد كانت فى حاجة إلى القنبلة النيوترونية، وهى أسلحة نووية حرارية تحدث حرارة وانفجارات صغيرة وتطلق كميات كبيرة من الإشعاع القاتل، ولا يتجاوز مداها منطقة مساحتها بضع مئات من الياردات فقط. وبسبب قدرتها التدميرية قصيرة المدى وعدم وجود عواقب طويلة المدى، تعتبر قنبلة النيوترون

شديدة الفاعلية ضد الدبابات وتشكيلات المشاة فى أرض المعركة لكنها لا تعرض المدن للخطر ولا التجمعات السكانية على بعد أميال قليلة.

جعلت المسافات القصيرة لمسرح العمليات الإسرائيلى، وتقارب المسافات بين سكانها للقنبلة النيوترونية أولوية هامة. وبهذا حددت لاكام العمل الذى يلائمها.

أثناء اجتماعات عدة مع بلومبيرغ وبيريز، عرف ميلتشان خيار شمشون وفهمه، أى مبدأ الأسلحة النووية الإسرائيلية. بالنسبة للرأى العام، لن تكون إسرائيل الدولة الأولى التى تعلن أنها تُنتج الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط ولن تؤكد وجودها أو تنفيه.

أما ما لم يتم إقراره علناً، على الرغم من الافتراض العام بصحته، هو أن إسرائيل تمتلك سادس أو ربما خامس أكبر كتلة أسلحة نووية فى العالم وأنها لن تستخدمها إلا إذا واجهت خطر الإبادة الفيزيقية ولم يتبق أمامها ما تخسره. ويشير مصطلح "خيار شمشون" بشكل رمزى إلى قصة شمشون التوراتية، وهو السجين اليهودى الذى هدم المعبد على رأسه ورؤوس معذبيه.

ومع تصاعد أنشطة ميلتشان السرية وتوسع عمله من أجل إنجاز السر الكبير، شعر كل من بيريز وبلومبيرغ أن الوقت قد حان لضمه لعضوية ناديهم، وأن يتم اصطحابه فى جولة طوال اليوم فى مفاعل ديمونة والتى لم يقم بها إلا الأعضاء أهل الثقة والمطلعون من القيادة الإسرائيلية. وكان مرشدهم فى تلك الجولة هو رئيس عمليات مجمع المفاعل آنذاك يوسف تويبمان.

كان أول ما انبهر به أرنون بمجرد وصوله إلى البوابة بعد رحلة طويلة بالسيارة، هو الأجواء السلمية، وكأن المكان واحة فى وسط الصحراء! وكانت المساحة الخضراء معتنى بها جيداً وكانت صفوف أشجار النخيل الصديقة للبيئة

تتمايل برفق مع النسيم العابر.

وفى وقت زيارته الأولى، كان المجمع أصغر بكثير مما هو عليه الآن، ويحوى ستة منشآت فحسب، مقارنة بالعشرة منشآت الحالية.

وتم اصطحاب أرنون بشكل تلقائى عبر الأقسام المختلفة. وسرعان ما عرف أن المفاعل قدرته تبلغ ١٥٠ ميجاوات ويعمل به حوالى ٢٧٠٠ شخص فى مهام منفصلة بالغة الخصوصية. كان، ومعه نصف البلد يفترضون بالفعل أن الغرض الرئيسى من تلك المؤسسة هو إنتاج البلوتونيوم، وهو منتج ثانوى لليورانيوم بغرض تصنيع ترسانة للأسلحة النووية. وعلم أرنون أن إسرائيل لا تحتاج فى المتوسط سوى ٤ كيلو جرام من البلوتونيوم لإنتاج قنبلة واحدة من النوع الذى كان يركز عليه البلد وقتئذ.

ماكون ١: كانت البنية المهيمنة على المجمع بقبة عزل يصل ارتفاعها إلى ٦٥ قدماً وكانت مرئية بوضوح من الطريق الرئيسى الذى يصل بئر سبع بوادى عربة. كانت ولا تزال، الرمز المرئى الشهير للبرنامج النووى الإسرائيلى، وهناك بدأت جولة أرنون، وعلم أن أكسيد اليورانيوم المخصب بنسبة ٣ أو ٤٪ يتم تصنيعه فى هيئة كرات صغيرة، ثم يتم إدخاله فى قضبان الوقود.

وكانت تلك القضبان مولدات للنيوترونات، متراصة بالقرب من بعضها البعض، تتفاعل تفاعلاً متسلسلاً ذاتياً لإنتاج الطاقة وعناصر جديدة عن طريق انشطار اليورانيوم لإنتاج البلوتونيوم.

وكان هذا البلوتونيوم يتم تجميعه لإنتاج القنابل، لكنها كانت عملية بطيئة وشاقة. وسرعان ما استوعب عقل أرنون النابه العملية بدون حاجة لمزيد من الشرح. ومنها تم اصطحابه إلى ماكون ٣، متجاهلين ماكون ٢، والذى كان له أن

يعود إليه في نهاية الجولة.

وكان ماكون ٢ يُستخدم في الأغلب لمعالجة اليورانيوم الطبيعي من أجل المفاعل ولتحويل ليثيوم ٦ إلى مادة صلبة، لاستخدامه في رءوس الصواريخ النووية الحرارية، كما شرح له مرشده بشكل تلقائي. ثم انتقلوا سريعاً إلى جناح ماكون ٤، والمخصص لمعالجة بقايا المنتجات النشطة إشعاعياً، وكان يشمل مصنعاً لمعالجة البقايا ووحدة تخزين للبقايا النشطة. أما عن البقايا غير النشطة فكانت تمزج بالقار، ثم تُعبّأ وتدفن في موقع سرى، يفترض أنه خارج البلد.

وكان ماكون ٥ يتعامل مع اليورانيوم الناتج من ماكون ٣، الذى كان يصنع على هيئة قضبان تبطن بالألومونيوم قبل أن ترسل إلى المفاعل في ماكون ١ . ومنها كان يذهب إلى ماكون ٦، والذى كان يستخدم فى الأساس كمنشأة للصيانة تخدم المجمع كله. وشعر أرنون بالتميز إذ تم السماح له بالدخول إلى عالم يمكن أن ترتكب جرائم قتل فى سبيل الاطلاع عليه لأقوى وكالات الاستخبارات العالمية. وصلت الجولة لذروتها عندما وصلوا إلى بناية مستطيلة بسيطة من طابقين وبلا نوافذ تعرف بماكون ٢، أثمن ما فى مجمع ديمونة. ومن الموظفين الكثر الذين يعملون بمفاعل ديمونة، لم يكن يسمح سوى لحوالى ١٥٠ موظف فقط بالدخول إلى ماكون ٢، وأسفل البناية ذات الطابقين بريئة المظهر كانت تقبع ٦ أدوار شاسعة، على عمق سحيق تحت الأرض، لا تراها الأقمار الاصطناعية ولا الضيوف غير المدعوين. وكان ذلك هو قدس الأقداس، حيث أسست إسرائيل منشأة ضخمة لفصل البلوتونيوم بهدف واحد فقط... وهو صناعة القنابل النووية. ودخلوا إلى الطابق الثانى، والذى كان فى الواقع الطابق الثامن!

عندما زار المفتشون الأمريكيون مفاعل ديمونة فى الستينيات، زاروا ماكون ٢

أكثر من مرة، وشاهدوا المكاتب وتناولوا الغداء فى مقصفه، وهم غافلون تماماً عن الأسرار الخطيرة التي تقبع تحت أقدامهم مباشرة، بفضل الحائط المزيف الذى أقامه بلومبرج أمام المصاعد المحرمة والتى تؤدى من المقصف إلى المجمع تحت الأرضى، ولم يتمكن المفتشون الأمريكيون من تخيل حجم الخداع الإسرائيلى.

انبهر أرنون وضغط مرشده على زر الدور الرابع، وفتح باب المصعد على شرفة كبيرة تطل على فضاء شاسع فوقها وتحتها. وكانت تلك شرفة جولدا مائير الشهيرة، وسميت على اسم رئيسة وزراء إسرائيل والتى وقفت فى ذات المكان بالضبط عدة مرات، تتلقى التقارير وتفحص العملية. وقيل إنها علقت قائلة: لن يقاد أى يهودى أعزل إلى مذبحة كما حدث فى المحرقة بعد ما رأيناه هنا.

دهش أرنون لما يشهده وشعر بالفخر والتمكين وهى مشاعر طغت على أى إحساس مشابه كان قد شعر به فى الماضى. وإذ يقف فى شرفة جولدا تلقى تقريراً مفصلاً عن عملية تصنيع الأسلحة النووية. وكان التقرير يشمل العديد من المصطلحات والإجراءات والمواد التقنية، والتى حفظها أرنون سريعاً فى ذاكرته بينما كان يشاهدها، وهو مبهور بالعملية التى كانت تتكشف أمام عينيه.

عرف أرنون أن هناك شاحنات خاصة كانت تأتى بقضبان اليورانيوم المعالج والذى كان يعد بالدور الأرضى من ماكون ١ ويتم رفعه إلى الطابق السابع. وكان ثمة رافعة تقبض على الأعمدة وتنزل بها إلى منطقة العمل بالأسفل. وكانت القضبان تُغمر فى أحواض حامض النيتروز ثم تطهى. وكانت شبكة من المواسير تُصفّى المياه التى تحتوى على اليورانيوم والبلوتونيوم عبر عملية كيمائية كما كانت المواد تُفصل وتستخلص فى الفرن، لتنتج كرات بلوتونيوم صغيرة وزن كل منها ١٣٠ جراماً، بإجمالى ١,٧ كيلو جرام فى الأسبوع، وكانت الكمية المطلوبة لصناعة

قنبلة هى ٤ كيلو جرام.

وفقاً للحسابات التى أجراها أرنون سريعاً كان بوسع إسرائيل إنتاج قنبلة نووية كل أسبوعين ونصف، أو حوالى ٢٠ قنبلة نووية فى العام. وفى معامل أخرى تحت الأرض، تم إخبار أرنون بأن هناك مواداً ضرورية إضافية يتم إنتاجها، مثل التايتينيوم لصنع القنابل النووية الحرارية. ساد الصمت الرهيب الغرفة، مع قليل من الهمسات العرضية، كما لو كانوا فى مكتبة أو كنيسة.

وعقب ذلك تبع أرنون مرشده إلى الغرفة الأخرى، وكانت غرفة ترفيهية للموظفين مخصصة لمجمعى القنابل. وكانت الفكرة منها توفير بيئة خالية من الضغوط ومريحة بقدر الإمكان للمُجمّعين، إذ كان من غير المقبول ترك أشخاص يعملون بمثل تلك الوظيفة يشعرون بالتوتر أو الانزعاج أو الكدر بأى شكل كان.

وفى الغرفة الترفيهية تلقى أرنون تقريراً هاماً عن احتياجات ديمونة من المواد، عبارة عن قائمة طويلة من الأغراض المطلوبة وبدأ أرنون يفهم الآن أن تلك من المهام المصيرية التى هيأه لها كل من بيريز وديان وبلومبرج، ألا وهى تطوير البرنامج النووى الإسرائيلى.

وبطبيعة الحال كان أكبر الاعتبارات هى توفير مورد ثابت لليورانيوم. كانت إسرائيل قد أملت أن تستخرج يورانيوم كافياً من موارد البوتاس فى صحراء النقب، لكن النتائج كانت محبطة.

ونما لعلم أرنون أن المفاعل يعمل بشكل عشوائى، ويعتمد على عمليات لاكام المبتكرة والجريئة ليستمر فى عمله وكانت معظم الأغراض المطلوبة غريبة وغير مألوفة بالنسبة له، مثل الملح الأخضر، وهو مركب بلورى صلب من تترافلوريد اليورانيوم، والكرايترون وهى أنابيب من الكاثود البارد معبأة بالغاز تستخدم

كمفاتيح فائقة السرعة لتفجير الأسلحة النووية، والنابذات وهى أجهزة تستخدم قوة الطرد لفصل المواد. والنابذ يمكن استخدامه لأغراض عدة، لكن لم يكن معروفاً آنذاك أنه يمكن استخدامه أيضاً لتخصيب اليورانيوم بدرجة تحقيق جودة الأسلحة. وضمت القائمة أيضاً دتريد اليورانيوم، وهى مادة ليس لها أى استخدام مدنى أو عسكرى محتمل سوى إنتاج القنبلة النووية.

كانت ميلكو وشركات واجهة أخرى أسسها أرنون معدة خصيصاً بغرض الحصول على تلك المواد. وحققت جولة المفاعل الغرض منها لدى بيريز وديان، إذ أصبح أرنون متحمساً أكثر من أى وقت مضى لأداء دوره.

أراد أن ينجح من منطلق الوطنية العميقة. وفكر فى جده الراحل حاييم إليعازر ميلتشان، الذى نجا من المذابح وترك عائلته فى بولندا وهو فتى أغر فى الرابعة عشرة من عمره ليصل وحده على شواطئ أرض مقفرة، ومعه حلم كبير، نسج منه حياة مزدهرة بيديه. ورسخ حاييم فى حفيده حب بلده والاستعداد لفعل أى شىء من أجله، بما فيه التضحية بحياته إن لزم الأمر.

قال أرنون: أحب إسرائيل، وسأساعد بأية طريقة ممكنة، وسأفعل ذلك مراراً وتكراراً.

كان أحد أهدافه المتعددة هو جلب تصميم النابذات، وهى طريقة جديدة وبالغة السرية لتخصيب اليورانيوم. وكان المصنع الأول للنابذات فى العالم هو شركة يورينكو لميتد، وهى شركة مقرها فى يوليش، ألمانيا، ومملوكة لاتحاد شركات هولندية وألمانية وإنجليزية.

ووفقاً للدكتور أفنر كوهين، وهو خبير مخضرم فى الانشطار النووى، فقد بدأت إسرائيل تجرب النابذات من مطلع الستينيات حتى منتصفها، لكنها استغرقت

وقتاً طويلاً، ربما عقداً، لإتقان تلك التكنولوجيا. وفي الواقع لم تتقن إسرائيل يوماً تكنولوجيا النابذات من تلقاء نفسها، بل فعلت ذلك فقط بعدما حصلت على تصميمات شركة يورينكو للنابذات في مطلع السبعينيات من أحد المديرين التنفيذيين في يورينكو نفسها، وتم تبادل المال، ووضعت التصميمات في المكان الخطأ وتم العثور عليها لاحقاً، لكن ليس قبل أن تصنع منها نسخ، والتي ظهرت بأعجوبة على مكتب بينيامين بلومبرج في تل أبيب. وتم إنجاز المهمة.

وخلال بضعة أعوام من زيارة ميلتشان الأولى لمفاعل ديمونة، تم تخصيص مبنى "ماكون" جديد بأكمله لتخصيب اليورانيوم بشكل أسرع وأكثر فاعلية. بواسطة النابذات التي تم تصميمها كلياً في إسرائيل طبقاً لتصميمات يورينكو بالضبط، والمبني هو ماكون ٨، الذي يضم آلاف النابذات الدوارة، والذي يستحق أن يسمى ماكون ميلتشان.

ولاحقاً، تم إضافة منشأة إضافية "ماكون ٩"، إلى مفاعل ديمونة لمواءمة تكنولوجيا الليزر المطورة حديثاً. وكان ميلتشان اللاعب الرئيسي في توفير الكثير من المواد الحساسة والمعدات التي احتاجها العلماء لتطوير تلك الطريقة الفريدة لتخصيب اليورانيوم.

وجدير بالذكر أنه بعد فترة وجيزة من حصول إسرائيل على تكنولوجيا النابذات من يورينكو، سلم الدكتور عبد القادر خان "أبو القنبلة الباكستانية"، والذي كان يعمل آنذاك في أحد المعامل التابعة لشركة يورينكو في هولندا، التصميمات ذاتها إلى باكستان، ثم باعها لاحقاً إلى إيران وكوريا الشمالية. وتمثل سرقة الدكتور خان وانتشارها لاحقاً أسوأ اختراق أمني ذي علاقة بتكنولوجيا الأسلحة النووية منذ فجر التاريخ الذري، ويفسر أيضاً سبب استخدام كل من إيران

وإسرائيل لنابذات نووية متطابقة، وتلك حقيقة استفادت منها إسرائيل لاحقاً.

وكان محللو الاستخبارات الأمريكية يعرفون بأمر الهدف من مفاعل ديمونة، واحتياجاته، وبرامج إسرائيل السرية الأخرى لتطوير أنظمة التوصيل، مثل صاروخ جيريكو ٢ .

وكانوا يعرفون دور ميلكو كمورد جديد لمتطلبات إسرائيل العسكرية، وكان ذلك فى الأساس بسبب تقارير ريتشارد كيلي سميث المنتظمة إلى السى آى إيه كشرط للحفاظ على تصريحه الأمني. لكن أياً من هذا لم يضايق ميلتشان لأنه فهم أن المخاطرة الكبرى فى الولايات المتحدة كانت هى العمل خارج المنظومة. وكان من الأفضل له العمل فى النور، داخل حدود القانون، أمام أعين الجميع، وبذلك يستفيد أقصى استفادة من داخل المنظومة، ثم يدعى الجهل، وأنه خطأ برىء، أو سوء فهم نتيجة الترجمة الخاطئة للتعليمات، إن حدث خطب جلل. وكانت الأخبار الجيدة هى أنه إن افتضح أمر الشركة، فلم يكن لميلتشان أى حصة فيها.

وعلى أية حال، ففى عام ١٩٧٣ كانت السى آى إيه والولايات المتحدة بصفة عامة لديهم مشاكل أكبر من بحث إسرائيل عن مواد حول العالم ليهتموا بها. لم تكن الأمور تسير على ما يرام فى جنوب شرق آسيا. وكانت إسرائيل حليفاً فى الحرب الباردة وكانت تقدم استخبارات بالغة الأهمية، فى الأغلب من المجتمع اليهودى بداخل الاتحاد السوفييتي. وكانت إسرائيل من أهم ميادين التجارب للأسلحة الأمريكية، وكان لها تأثير متزايد فى المؤسسة السياسية الأمريكية تزامنت مع نمو اللوبى المؤيد لإسرائيل "إيباك"، وكان لها أصدقاؤها النافذون فى كل قطاعات الحكومة، ومنها المجتمع الاستخباراتي.

سمحت تلك البيئة لريتشارد كيلى سميث بأن يشعر بالارتياح للمضى قدماً فى

إرسال شحنات إلى إسرائيل خارج النطاق القانوني. وفى عام ١٩٧٣ شحن براميل البوتيل – وهو مركب يستخدم لتحويل المساحيق التفجيرية إلى وقود صواريخ صلب – إلى شركة أخرى فى هيوستون، حيث تم شحنها إلى مستخدم نهائى تبين فى النهاية أنه إسرائيل.

كان مكوناً بالغ الأهمية بالنسبة لصاروخ جيريكو ٢، ونجح سميث فى جلبه بوفرة لكنها كانت البداية فحسب ثم تلي ذلك بيروكلورات الأمونيوم والبيوتارين، والجيروسكوب، ومولدات النيوترونات، ومنظار الأوسيلسكوب عالى السرعة، المئات من القطع مزدوجة الاستخدامات، بإجمالى تكاليف يعادل عشرات الملايين من الدولارات. كلها تم شحنها إلى سميث ثم منه إلى المستخدم النهائى هو شركة رحوفوت إنسترومينتس ليمتد.

ومع توسع ميلتشان فى عملياته في الولايات المتحدة، كان أيضاً مستغرقاً بالعمليات فى إيران وفى صفقات شراء معدات الدفاع العسكرى المعتادة لإسرائيل. حيث كان يجوب العالم بطائرته، ويبرم الصفقات، ويقابل الأقوياء والنافذين، ويعيش بشكل عام الحياة التى يمكن الشخص العادى أن يحلم بها، لكن كانت هناك مشكلة واحدة.

بمرور الوقت، أصبحت "أولا" الحب المهيمن على حياته، وبدأ يفكر فى طرق للانفصال عن زوجته، ووعد "أولا" بأنه سيتخذ تلك الخطوة. وقبل ذلك بعام فى ١٩٧١، أخطرت بريجيت أرنون بأنها حامل بطفلها الثانى، ابنتهما ألكساندرا. ولم يكن هذا وقتاً مناسباً للحديث عن الانفصال. لكن بعد بضعة أشهر من ميلاد ألكساندرا، استجمع أرنون الشجاعة الكافية لإبلاغ بريجيت بنواياه تجاهها. وفى ذلك المساء، دخل من باب منزله، متوتراً لكن عازماً. واستدعى بريجيت إلى غرفة

المعيشة ليتناقش معها لكن قبل أن يتمكن من البدء، قاطعته بخبر قائلة أنا حامل مجدداً.

ومجدداً تراجع أرنون عن حديثه مع بريجيت، وأخبر "أولا" بالموقف.

وفى اليوم الذى ولد فيه طفله الثالث أى ابنته الثانية إليانور، هرع أرنون إلى المستشفى لمرافقة زوجته. وبينما كان ينتظر خارج غرفة الولادة مع أفراد عائلته، لاحظ ممرضة توجه شرطيين صارمى المظهر تجاهه. وباقترابهما منه سأله أحدهما هل أنت أرنون ميلتشان؟، وعندما أجاب أرنون الذى ملأته الدهشة بالإيجاب، كان السؤال التالى هو هل تمتلك حصاناً؟.

كانت "أولا" قد انهارت أخيراً، وحزمت حقائبها، وقبل أن تغادر إلى المطار أطلقت سراح الحصان الذى كان أرنون قد اشتراه لها. وثار الحصان المفزوع فى شوارع ضواحى تل أبيب، مسبباً الفوضى ومتلفاً العديد من أكشاك البائعين والسيارات. وبعدما أمسكت الشرطة أخيراً بهذا الوحش الهائج، تحروا عن مالكه المهمل.

وبينما كانت بريجيت تلد إليانور، تم اصطحاب أرنون إلى قسم الشرطة، وأجبر فى النهاية على دفع غرامة وتغطية الأضرار التى تسبب فيها الحصان. وعندما علمت بريجيت بتلك الواقعة، انقلبت علاقتهما رأساً على عقب. وكانت تلك صحوة هائلة بالنسبة لأرنون.

الآن وبعد أن خرجت "أولا" من الصورة، صار أرنون عازماً على إنقاذ زواجه. ووافق الزوجان على إحداث تغيير جذرى فى حياتهما على أمل أن يقربهما ذلك من بعضهما. كان الحل، أو ما أملا أن يكون حلاً، هو الانتقال إلى فرنسا كعائلة، حيث ستشعر بريجيت أنها فى وطنها وأنها بجوار أقاربها.

وقرر أرنون أن يشترى قصراً كبيراً من القرن الثامن عشر على حافة بحيرة صغيرة، جنوب غرب باريس ويبعد عنها بحوالى ٢٥ ميلاً. وكانت تلك الضيعة ذات الخمسين فداناً على مشارف مدينة مونتفورت لامورى التاريخية الخلابة، وعلى حواف غابة رامبوبليه، وكان البيت يستخدم ذات يوم كمنزل للصيد للعديد من ملوك فرنسا. كان جاره هو الرئيس الفرنسى المستقبلى جاك شيراك والذى كان يسكن منزلاً أكثر تواضعاً.

وكانت أقصى آمال أرنون هى أن تصلح البيئة الريفية الخلابة، بخيولها وكل الرفاهيات الممكنة، علاقته الزوجية المضطربة.